

الهدايا القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة  
في آيات برّ الوالدين  
(دراسة تطبيقية)



د. ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي  
الأستاذ المشارك بقسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين  
جامعة أم القرى

الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين  
يتناول هذا البحث عرضاً واضحاً ومنهجاً بيناً عن: "الهدايات القرآنية المستنبطة من

القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين"

دراسة تطبيقية لبعض آيات القرآن الكريم، وهو يتناول البرّ والإحسان للوالدين سواء أكانا مسلمين أم غير مسلمين، وبيان أثر تدبر القرآن الكريم في إبراز هذه الهدايات. ويهدف البحث إلى بيان كيفية استنباط الهدايات من خلال القراءات المتواترة، وكيفية ربط ذلك بالمعنى التفسيري للآية، كما يهدف إلى المعاني المستفادة من مفهوم علم الهدايات والقراءات القرآنية، ومفهوم البرّ في القرآن الكريم.

وهو يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة، بينتُ في المطلب الأول ما يتعلق بمفردات العنوان لغةً واصطلاحاً، وبينتُ في المطلب الثاني والثالث: الهدايات القرآنية في الآيات التي تتعلق ببر الوالدين مسلمين كانا أو غير مسلمين، والإحسان إليهما، كما بينتُ القراءات الواردة فيها، وما يتعلق بها من معانٍ متعددة، وهداياتٍ متنوعة؛ والتي تؤكد لنا أنّ تعدد القراءات في الكلمة الواحدة يثري المعنى، ويعمق فهم الآية، ويعطي دلالات واضحة على أن القرآن الكريم بتعدد آياته في الموضوع الواحد وتنوع قراءاته يستوعب كل أنواع البرّ بين الناس جميعاً.

ولقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي التحليلي في فهم النصوص وتوظيفها.

ومن النتائج التي توصلت إليها.

- أن الباحث في الهدايات القرآنية التي لها علاقة بالقراءات المتواترة أو الشاذة ينبغي عليه أن يحيط بوجوه القراءات المختلفة، وأن يمعن نظره في دلالة كل قراءة؛ لأن الهدايات لا تكتمل إلا بمعرفة أوجه القراءات.

د. ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي

- وأن البرّ بالوالدين من محاسن الدين، فالإسلام دين البرّ والرحمة والإحسان، فهو يأمر بالصلة وينهي عن القطيعة مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متآلفة متراحمة. وسأحاول في ثنايا البحث أن أبرز هذه الأهداف وتلك النتائج.

الكلمات الافتتاحية:

الهدايا - القراءات - البر - الإحسان.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الإسلام هو دين الرحمة والإحسان للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَوُوؤُ  
وَّچ [الجنائفة: ٢٠]، وفيه الخير للعالمين: للمؤمنين به، ولغير المسلمين، ويدرك ذلك كل ذي  
عين بصيرة، ولا يجحد فضله إلا من جهل حقيقته أو كان من المستكبرين قال تعالى: ﴿چې  
پ د د نأ نأ نه چ [الروم: ٣٠].

وإنَّ الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً قال تعالى: ﴿چگ گ گ گ ن  
چ [المائدة: ٤٨] أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً.

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ليرسم لنا  
الطريق، أرسله أسوة حسنة وأمرنا أن نتبعه، قال تعالى: ﴿چچ چ چ د ي ت تڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ  
[يوسف: ١٠٨].

فالقرآن الكريم هو النور المبدد لظلمات الحياة، والهدى العاصم من كل ضلال، والروح  
الذي تحيي به النفوس الحياة الطيبة، والشفاء الكامل لكل ما تعانیه الأمة من أمراض، وقد  
أمرنا الله عز وجل أن نقول الحسنی لكل الناس دون تفریق قال الله تعالى: ﴿چپ پ چ [البقرة:  
٨٣]، كما أن الله لم ينهنا عن بر غير المسلمين وصلتهم وما إلى ذلك من أشكال القسط  
إليهم قال تعالى: ﴿چچ چ چ چ چ چ چ چ چ د ي ت تڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ك چ  
[المتحنة: ٨].

ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفهم القرآني في سنته الشريفة، فكان صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الأرض وكان دائماً خلقه القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>. فلما رأينا في عصرنا الحاضر وجود الحاجة الماسة للناس في بيان ما يترتب على كشف وبيان معاني القرآن الكريم والتعريف بالهدايات القرآنية الواردة فيها ظهرت لي هذه الفكرة البحثية والتي هي بعنوان الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين". هذا وأسأل الله النفع والقبول إنه خير مسؤول وأعظم مأمول.

### أولاً: موضوع البحث

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مؤيداً بالقرآن الكريم ليرسم لنا الطريق، أرسله أسوة حسنة، وأمرنا أن نتبعه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا مَنَاجِرَ رَسُولِ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالبحث يقدم منهاجاً يبيّن عن الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين"، وتطبيق ذلك على نماذج من آيات القرآن الكريم، وما تضمنته الآية من المعنى الإجمالي والهداية المستنبطة منها ومن أوجه القراءات الواردة فيها.

### ثانياً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

يعتبر موضوع الهدايات من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة؛ حيث إنه يتعلق بكلام الله تبارك وتعالى الذي هو من أشرف العلوم وأفضلها قاطبة، قال صلى الله عليه وسلم:

(١) صحيح، أخرجه أحمد في مسنده (٩٠/٦)، والبيهقي في الشعب (١٥/٢)، والسيوطي في الصغير (٢١٧/١)، وإسناده صحيح.

الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين  
(خيركم من تعلم القرآن وعلمه))،<sup>(١)</sup> كما أنه يخدم جانباً مهماً من أهم موضوعات  
الدراسات القرآنية الواردة في مجال البر.

### ثالثاً: منهج البحث:

اتبعت في كتابه هذا البحث المتواضع المنهج الاستقرائي؛ حيث تمّ جمع الآيات القرآنية  
والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع البحث: "الهدايات القرآنية الواردة في مجال البر"، ثمّ  
المنهج الاستنباطي في فهم النصوص وتوظيفها؛ وهو المنهج المناسب لمثل هذا النوع من  
الدراسة، وكذلك المنهج التحليلي حيث بيان وتحليل هذه الهدايات بما يقرب المعنى المراد بيانه  
لفهم القارئ.

### سادساً: الدراسات السابقة:

وقفتُ على دراسات متنوعة وكتب مؤلفة عن الهدايات القرآنية، إلا أنني لم أجد بحثاً  
تناول موضوع الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين؛ سوى  
بعض البحوث والمقالات شبه المتعلقة بالموضوع، وهي عبارة عن مواضيع عامة تتناول بر  
الوالدين في الإسلام وصلة الرحم بشكل عام ونحو ذلك.

### سابعاً: هيكل البحث

أمّا بالنسبة هيكل البحث فقسّمته إلى ثلاثة مطالب، وخاتمة.  
أمّا المقدمة: فتحدّث فيها عن موضوع البحث، وأهميته وأسباب اختياره، والمنهج المتبع  
فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.  
وأمّا عنوان المطلب الأول فكان: مدخلاً تمهيدياً للبحث، تحدّث فيه عن مفردات  
البحث.  
أولاً: مفهوم الهدايات القرآنية.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن (٢١) باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث:  
(٥٠٢٧).

ثانياً: مفهوم القراءات القرآنية.

ثالثاً: مفهوم البرّ.

وتحدثت في المطلب الثاني عن: الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين المسلمين.

وتناولت في المطلب الثالث: الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين غير المسلمين.

ثم جاءت الخاتمة، وبينت فيها أهم النتائج.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### المطلب الأول

مدخل تمهيدى للبحث، يتضمّن تحديد مفردات البحث

أولاً: مفهوم الهدايات القرآنية.

تعريف الهدايات في اللغة:

يرجع أصل كلمة الهدايات في اللغة من "هدى" مصدر، ويتناول عدة معانٍ لغوية،

وهو ما ورد في قوله تعالى: **جِئْ وَثُرْ وَوُؤِ وَوُؤِ** [فصلت: ١٧].

وقيل الهدايات: جمع هداية، والهداية مصدر من الفعل: هدى من الهدى، والهاء والذال والحرف المعتل يدلان على أصليين:

أحدهما: الرشاد والدلالة، وقد هداه هُدَى وَهْدِيًا وَهْدَايَةً، ويقال: هديت له الطريق هداية على معنى بينت له الطريق، ومنه قوله سبحانه وتعالى: **جِئْ وَوُؤِ** [السجدة: ٢٦].

وقوله: **جِئْ وَوُؤِ** [البلد: ١٠].

وقيل معناه: الوصول أو الإرشاد إلى المطلوب، وقد يأتي بمعنى طريق، ويقال هديته إلى الطريق وللطريق على معنى أرشدته إليها، ويقال هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق،

## الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

فهو حقيقة في الطرق المحسوس، ومجاز في الطريق المعنوي، وضده الضلال، وهو الخروج عن الطريق، ومنه البعير الضال، والشاة الضالة، ورجل ضل عن الطريق إذا خرج عنه؛ لأنه التبس عليه الأمر ولم يكن له هاد يهديه وهو الدليل<sup>(١)</sup>.

ويقول القرطبي: والهدى هديان: هدى الدلالة، قال تعالى: **چ چ چ چ** [الرعد: ٧]، وقال تعالى: **چ ڈ ف ف ف ف** [الشورى: ٥٢] فأثبت لهم أنه الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، ومنه قوله تعالى: **چ چ چ چ** [البقرة: ٥]<sup>(٢)</sup>.

وقال العلماء: الهدى والهداية في اللغة شيء واحد<sup>(٣)</sup>

ويقال: اهتديت من الاهتداء ومنه قوله تعالى: **چ گ گ گ گ گ گ گ گ** [طه: ٨٢] أي: تاب من ذنبه، وآمن بربه، ثم اهتدى، أي: أقام على الإيمان. ومن الباب قولهم: هدى أمره: أي جهته، وما أحسن هديته، أي هديه، وجاء فلان يهادي بين اثنين، إذا كان يمشى بينهما معتمداً عليهما.

ثانيهما: الهدية: ما اهتديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت أهدي إهداء، والمهدي: الطبق تهدي عليه<sup>(٤)</sup>

ثانياً: تعريف الهدايات اصطلاحاً:

(١) مختار الصحاح (ص ٣٢٥)، اللغة وصحاح العربية (٢/٦٧٥)، والمحكم والمحيط الأعظم، مادة هدى

(٢/٢١٧)، وتفسير المنار (٧/٤٩٦)، ولسان العرب (٥/٣٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٩).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص ٥١٩).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٦/٣١)، لسان العرب (١٥/٣٥٣).



فقد عرفها الفريق البحثي في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية فقالوا: هي الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع كل شر<sup>(١)</sup>. وعرفها ابن عاشور -رحمه الله- بأنها: الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب<sup>(٣)</sup> فالهدى هو الرشاد، والدلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب،<sup>(٤)</sup> وهداه إلى الطريق: إذا أعلمه أن الطريق في ناحية كذا، وهداه للطريق: إذا ذهب به إلى رأس الطريق، وهداه الطريق: إذا أدخله فيه وسار معه حتى بلغا المقصد<sup>(٥)</sup> وكل ما يعبر به عن الهداية من معانٍ في هذا الجانب موصلة إلى معنى الإرشاد<sup>(٦)</sup> ولا يمكن الوصول إلى الهدى بغيرها.

ويقصد بالهدايات القرآنية في البحث: هو بيان ما جاء في آيات القرآن الكريم من معانٍ واضحة ظاهرة أو معانٍ عميقة.

وعرفت كذلك الهدايات القرآنية على أنها: الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الهدايات القرآنية، طه عابدين، وآخرين (ص ٤٤).

(٢) ينر: التحرير والتنوير (١/١٨٨).

(٣) ينظر: التعريفات (ص: ٢٥٦)، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٤٣).

(٤) تاج العروس (٤٠/٢٨٢)، تهذيب اللغة (١/١٨٥).

(٥) الكلبيات (ص: ٩٥٣).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٧٣).

(٧) ينظر: الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية (١/٤٤).

الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين  
قال أبو الفداء -رحمه الله- "الهداية هي عند أهل الحق الدلالة على طريق من شأنه  
الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل (١).

ثانياً: مفهوم القراءات.

القراءات لغةً: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، وقرأت الشيء أي جمعته وضممت بعضه  
إلى بعض، قال ابن الأثير: كل شيء جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القصص  
والأمر والنهي والوعد والوعيد، (٢) وقال الرازي: قرأ الكتاب قراءة وقرآناً بالضم، وقرأ الشيء  
قرآناً بالضم أيضاً جمعه وضمه، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} (القيامة: ١٧) أي  
قراءته، وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى (٣).

وأما تعريف القراءات اصطلاحاً فقد عرفها جماعة من الأئمة، ومن أبرز التعريفات ما يلي:

١- تعريف أبي حيان الأندلسي فقد عرفها بأنها: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق  
بالألفاظ القرآن" (٤).

٢- تعريف بدر الدين الزركشي، قال: "القرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان  
والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من  
تخفيف وتثقيب وغيرها" (٥).

٣- تعريف ابن الجزري، قال: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو  
الناقلة" (٦).

(١) ينظر: الكليات (٥٧/٢).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣٠/٤).

(٣) مختار الصحاح (ص ٢٢٠).

(٤) ينظر: البحر المحيط (١٤/١).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١).

(٦) ينظر: منجد المقرئين (ص ٣).

٤-تعريف عبد الفتاح القاضي، قال: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه إلى ناقله"<sup>(١)</sup>، فمنهم من يسمي نقله قراءة، ومنهم من يسمي نقله رواية، ومنهم من يسمي نقله طريقاً، ومنهم من يسمي نقله وجهاً<sup>(٢)</sup>.

هذا، وقد أورد فضيلة الدكتور محمد بن عمر بازمول عدداً من تعاريف القراءات، وبعض الملاحظات التي مر ذكرها، ثم حاول هو أن يعرف القراءات تعريفاً يسلم مما لوحظ على تعريفات السابقين فعرف علم القراءات بثلاثة تعريفات فقال: "تعريف القراءات كعلم مدون هو:

-مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى، في الحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

-أو: مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله من جهة اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والفصل والوصل، من حيث النقل.

-أو: مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله<sup>(٣)</sup>.

يلاحظ على التعريفين الأولين: اقتصارهما على مواضع الاختلاف، وأن التعريف الأول لم يصن عن الإسهاب؛ فقد فصل بعض أوجه الاختلاف ثم قال: وغير ذلك، فلم يكن لما فصله داع.

(١) ينظر: البدور الزاهرة (ص٧).

(٢) ينظر: البدور الزاهرة (ص ١٠).

(٣) ينظر: القراءات وأثرها (١/١١٢).

وفي التعريف الثاني: حصر أوجه الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل، وفي رأبي أن هذا التعريف غير جامع؛ لأن (أوجه) لا تنحصر فيما ذكره، فمنها المد والقصر، فإن قيل المد والقصر داخل في اللغة والإعراب، فكذلك الحذف والإثبات والفصل والوصل داخل في اللغة والإعراب، وأما التعريف الثالث فغير مانع من دخول علوم اللغة العربية كالنحو والصرف في تعريف علم القراءات، والتعريف المختار للقراءات من وجهة نظر الباحثة هو: علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن وكتابتها، ومواقع اتفاق نقلتها ومواقع اختلافهم، مع عزو ذلك إلى ناقله، وتمييز متواتره من آحاده وصحيحه مما لم يصح، مما روي على أنه قرآن.

### ثالثاً: مفهوم البر

معنى البر لغةً: الصدق والطاعة والخير والفضل، وبر يبر، إذا صلح، وبر في يمينه يبر، إذا صدقه ولم يخنث، وبر رحمه يبر إذا وصله.

ويقال: فلان يبر ربه ويتبرره، أي: يطيعه، ورجل بر بذى قرابته، وبار: من قوم بررة وأبرار.

والمصدر: البر، والبر: الصادق أو التقي وهو خلاف الفاجر.

والبر: ضد العقوق وبررت والدي بالكسر، أبره برأ، وقد بر والده يبره، ويبره برأ... وهو بر وبار وجمع البر الأبرار، وجمع البار البررة (١)

### معنى البر اصطلاحاً:

قال المناوي: (البر بالكسر أي: التوسع في فعل الخير، والفعل المرضي، الذي هو في تركية النفس.... يقال: بر العبد ربه).

أي: توسع في طاعته.... وبر الوالد: التوسع في الإحسان إليه. وتحري محابه، وتوقي مكارهه، والرفق به، وضده: العقوق ويستعمل البر في الصدق، لكونه بعض الخير المتوسع فيه (٢).

(١) ينظر: لسان العرب (٥١/٤) المصباح المنير (٤٣/١).

(٢) التوفيق على مهمات التعاريف (ص ١٢٢).

قال القاضي المهدي: والبر: هو الصلة، وإسداء المعروف والمبالغة في الإحسان<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني

الهدايا المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين المسلمين

تمهيد:

لقد جاء التنويه بشأن برّ الوالدين في القرآن الكريم والتذكير بها في مواضع متعددة مما يدل على مكانتها وأهميتها، وجعل لها رعاية عظيمة وأولاهها أهمية كبيرة؛ لأنها من أجل الحقوق وأعظمها بعد حق الله تعالى، ومن ضمن أجمل ما قال القرآن عن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبِرِّ الْوَالِدِ الْكَرِيمِ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فبعد حق الله عز وجل حق الوالدين وهذا مطرد في القرآن، ففي سورة الأنعام: ﴿وَوَالِدًا ذَا وَهْمٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] وفي سورة لقمان: ﴿وَقَدْ أَفْقَقْتُ أَبَا جَدِّكَ إِسْحَاقَ﴾ [لقمان: ١٣-١٤] وهنا في سورة الإسراء.

فهي قضية منهجية مطردة تتحدث فيها الآية الكريمة عن أصل من أصول الشريعة، وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما، ليس في حال اجتماعهما فقط، بل في حال اجتماعهما وافتراقهما على السواء.

أولاً: بيان القراءات في الآية الكريمة:

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) بألف مطولة بعد الغين، وكسر النون على

التثنية.

٢- قرأ الباقر (يبلغن) بغير ألف، وفتح النون على التوحيد.

٣- قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أف) بفتح الفاء من غير تنوين.

(١) ينظر: صيد الأفكار (٣٠٢/٢).



يقول الصابوني: {وقضى ربك..... إياه} أي: حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره. وقال مجاهد: (وقضى) يعني وصى بعبادته وتوحيده {وبالوالدين إحساناً} أي: وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، قال المفسرون: قرن تعالى بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد، لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما} أي: قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبر أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر؛ لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى: "عندك" دلّ على الكبر... ليدل بالإشارة اللطيفة أنهما أو أحدهما يجب أن يكونا أو يكون (عندك): أي في كنفك وكفالتك {فلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ} أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة يظهر الضجر ككلمة "أف" ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف، "ولا تنهرهما" أي: لا تزجرهما فيما لا يعجبك منهما، "وقل لهما قولاً كريماً" أي: قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم.<sup>(١)</sup> ومعاملة الأبناء للوالدين في هذه الأيام تنم عن بعد عن كتاب الله تعالى وتقصير في فهم أوامره وهداياته، فحري بالأمة أن تعود إلى كتاب ربها -عز وجل- وإلى هدى نبيها محمد صلى الله عليه وسلم كي يتحقق المجتمع الفاضل، وتسود روح الألفة والمودة ويعود الناس إخواناً متحابين<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي في التيسير: وبالوالدين إحساناً: أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، فلا تقل لهما أف: وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه أ.هـ<sup>(٣)</sup> (فلا تقل لهما أف) أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة "أف" ولا تسمعها قولاً

(١) ينظر: صفوة التفاسير (١٣٩/٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧٠-٦٩/١٥).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩١٠-٩١١/٤)، بتصرف يسير.

## الهدايا القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

سناً حتى ولو بكلمة التأفف، نهي بعد الفاء الواقعة في جواب الشرط المستفاد من (إن) المتضمنة في (إن ما) وهذا النهي عن أبسط ما يمكن أن يكدر خاطر الوالدين ويعكر صفو نفسيتهما، وهو كلمة "أف" وهي أقل ما يتصور من اللغة في تصوير معنى الضجر والتعبير الضيق والسخط.

ومن محاسن تعاليم الإسلام أنه يحرص كل الحرص عن حسن العلاقات، وخاصة بالقرابة اللصيقة بالإنسان والأوجب للإحسان وهما الوالدان (ولا تنهرهما) أي: لا تزجرهما بإغلاظ فيما لا يعجبك منهما (وقل لهما قولاً كريماً) أي: قل لهما قولاً حسناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم<sup>(١)</sup> وقال تعالى: جِبْ جِبْ جِبْ جِبْ جِبْ [لقمان: ١٥] وحث النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: ( يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك؟ قال: ثم من. قال: ثم أمك، قال: ثم من، قال: ثم أبوك)<sup>(٢)</sup> .

وصاحب البر يتعدى بره الوالدين والأبناء إلى الأرحام والأقارب، ولأن الوفاء والإحسان أصيل فيه فإنه يتميز به مع جميع الناس الذين يتعامل معهم، وفي مقدمتهم الأقرب فالأقرب، ولذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على توثيق هذه الصلات، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله وصلوا أرحامكم"<sup>(٣)</sup>

(١) صفوة التفاسير (١٣٩/٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث (٥٩٧١)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب الوالدين، حديث (٢٥٣٨).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦) صلة الأرحام (٣٣٠/١٠)، حديث: (٧٥٧٧)، والإمام أحمد في مسنده، (١٧٠/٢٦)، حديث (١٦٢٣٢)، ومسلم، (١٥)، كتاب البر والصلة والآداب،



فصلة الرحم من الأمور التي حث عليها الدين الحنيف ورغب فيها، وتشمل أموراً معنوية وأخرى مادية، فالمادية مثل: الإحسان إليهم بالمال، والمعنوية مثل: تعهدهم بالتربية، وتوجيههم إلى أمور الدين الحنيف والأخلاق الفاضلة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونصحهم بالطرق المجدية والأساليب الحسنة، فإن ذلك من أهم المهمات أن يوجههم إلى الخير، وهذا أعظم من صلتهم بالمال إن كان يصلهم بالمال، لأن توجيههم إلى الخير ينفعهم في الدنيا والآخرة، وذلك في حال أن يكون أولئك الأقارب على انحراف وضلال وفساد، ويخشى المسلم على نفسه أن ينساق وراءهم أو يتأخر عنهم، دون تأثير منهم عليه، وصدق الله تعالى حيث قال في محكم تنزيهه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: ٢١٠)

ثالثاً: الهدايات التفسيرية المستفادة من القراءات القرآنية في آيات بر الوالدين:

أفادت قراءة (يبلغان) أن حكم الإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما ليس باجتماعهما فقط، بل باجتماعهما وافتراقهما على السواء، وذلك بأن يدرك أحدهما دون الآخر.

يقول طاهر ابن عاشور: وقرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) بألف التثنية ونون مشددة، والضمير فاعل عائد على الوالدين في قوله: (وبالوالدين إحساناً) فيكون (أحدهما أو كلاهما) بدلاً من ألف المثني تنبيهاً على أنه ليس الحكم لاجتماعهما فقط، بل هو للحالتين على التوزيع<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام أبو السعود: وقرئ (يبلغان) فأحدهما بدل من ضمير التثنية، و(كلاهما) عطف عليه، ولا سبيل إلى جعل (كلاهما) تأكيداً للضمير، وتوحيد ضمير الخطاب في (عندك)

(١٧)، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/١٩٩٩)، حديث: (٢٥٨٦)، وينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/١٦٦)، وجامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/١٣٩).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٦٩).

## الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع؛ للاحتراز عن التباس المراد، فإن المقصود نهي كل أحد عن تأييد والديه ونهرهما، ولو قوبل الجمع بالجمع أو التثنية لم يحصل على هذا المرام<sup>(١)</sup>. وأفادت قراءة (إما يبلغن) أنه إن يبلغ أحد الوالدين عندك الكبر فأحسن إليه.

قال الإمام الطبري: قراءة من قرأ (إما يبلغن) على التوحيد؛ على أنه خبر عن أحدهما، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان بالوالدين قد تناهى عند قوله: (وبالوالدين إحساناً)، ثم ابتدأ قوله: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما)<sup>(٢)</sup>.

وأفادت قراءة (أف) بالفتح: أن أي تضجر معروف - ولو كان بسيطاً - منهياً عنه كذلك، وأفادت قراءة (أفّ) خفضاً بدون تنوين: أن مجرد إطلاق أي قدر - ولو بسيط جداً - من التذمر غير المتعارف عليه منهياً عنه، ومخالف لبر الوالدين.

وأفادت قراءة (أفّ): أن أي تذمر غير متعارف عليه وأقل سهولة في التلفظ به، هو منهياً عنه كذلك.

قال القرطبي: وقرئ (أفّ) منون مخفوض كما تخفض الأصوات وتنون تقول: صه ومه<sup>(٣)</sup>. نستخلص من ذلك من خلال القراءات في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمر ببر الوالدين سواء أدرك الإنسان أحدهما أو كليهما، وذلك بالأنا تصدر منه ما يدل على التضجر ولو بأوجز حركة أو لفظة، متعارف عليها أو غير متعارف، بصوت أو بدون صوت. بالإضافة إلى الهدايات التي ذكرناها والواردة في الحث على برّ الوالدين والوصية بالإحسان إليهما قوله تعالى: جأ ب ب بچ (الأحقاف: ١٥).

قرأ الكوفيون (إحساناً) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء وإسكان السين وألف بعدها إتباعاً لمصاحفهم، وقرأ الباقون (حسناً) بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢١٢/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (٤٧/١٥).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٧٩/١٠).

ألف وكذلك في مصاحفهم<sup>(١)</sup> وهو مصدر من حسن يحسن حسناً، والحسن خلاف القبح.<sup>(٢)</sup>

قال بعض النحويين: الاختيار (حسناً) لاتفاقهم على قوله في العنكبوت:  $\text{چ ن ث ن ذ}$  [العنكبوت: ٨] <sup>(٣)</sup> قال في الحجة: والإحسان خلاف الإساءة، والحسن خلاف القبح، فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر، وذلك أن معنى قوله:  $\text{ووصينا الإنسان بوالديه}$ ، أمرناه بالإحسان أي: ليأتي الإحسان إليهما دون الإساءة، ومن قال  $\text{حُسناً}$  فمعناه: ليأت في أمرهما أمراً ذا حسن أي: ليأت الحسن في أمرهما دون القبح،<sup>(٤)</sup> والمتدبر في توجيه المفسرين واللغويين للقراءتين يجد أن قراءة (إحساناً) فيها توجيه للأبناء بأن إحسانهم للوالدين ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى مبرئاً من أدنى إساءة - حتى ولو بأقل الكلمات أو أي شكل من أشكال الإساءة- لأن صفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاته دون غيره.

قوله تعالى:  $\text{چ ه ه ه ه}$  فأقل كلام فيه قبح ينافي الإحسان إلى الوالدين. ويذكر هذا المعنى قوله تعالى:  $\text{چ ه ه ه ه}$  في قوله جل في علاه:  $\text{چ ن ث ن ذ}$  فهذه ثلاثة أوامر إلهية توجب على الأبناء أن يكون البر صادراً منهم في غاية الحسن والكمال؛ استجابة لهذه الأوامر التي فرضها الله عليهم. وقوله تعالى:  $\text{چ پ پ پ پ}$  [الأحقاف: ١٥].

(١) ينظر: المقنع (ص ٥٥٦)، النشر في القراءات العشر (٢/٣٧٢)، إتحاف فضلاء العشر (ص ٥٠٣).

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص ٣٢٦)، الحجة للقراء السبع (٦/١٨٣).

(٣) ينظر: إعراب القرآن، القراءات السبع وعللها (٢/٣١٦).

(٤) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع (٣/١٧٣٨-١٧٣٩).

## الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

قرأ أبو عمرو وهشام عن ابن عامر ونافع وابن كثير، بالفتح (كُرْها)، وقرأ الباقون بضم الكاف (كُرْها)، والكُرْه بالفتح لما كرهته، أو المشقة التي تنال الإنسان من خارج، فيما يحمل عليه بإكراه، والكُرْه بالضم هو: ما استكرهت عليه أو شق عليك، أو ما يناله من ذاته، وهو يعافه.

فالكُرْه ما أكرهت نفسك عليه أو الكُرْه ما أكرهك غيرك عليه، تقول: جئتكَ كُرْها، وأدخلتني كُرْهاً، وقيل: هما لغتان بمعنى، مثل الضَعْف والضَعْف (١)

والمتدبر في توجيه القراءتين يجد أن قراءة الضم تشير إلى أن أمر الحمل فيه مشقة على الأم نابعة من ذاتها بما تقاسيه من أوجاع الحمل وآلامه، وما يصحبه من نفور أثناء الحمل، فهذه القراءة فيها إشارة خفية إلى ما تعانيه الأم من شدةٍ وثقل، وأما قراءة الفتح فإنَّ الهداية المستفادة منها أن الأم لا تنفر من الحمل ذاته لأنه شيء محبب إليها، فغريزة الأمومة طبيعة مركوزه في جبلتها، ولكن المشقة تأتي من عوامل خارجية تنتاب المرأة أثناء الحمل من تقلب صحتها بين الألم والضعف وما تكابده الوالدة من التعب والمشقة هذه المدة المتطاولة التي تنتهي بالولادة، ولذلك جاءت الوصايا الكثيرة بالإحسان والعناية بالأم ورعايتها، ذلك على اختلاف القراءات وقوله:  $\text{چ پ چ}$  [الأحقاف: ١٥].

قرأ يعقوب "وفصلُّه" بغير ألف مفتوحة الفاء وقرأ الباقون وفصلُّه<sup>(٢)</sup> بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعده، أي: فاصلته أنه فصلاً ومفاصلة، من فصله فصلاً وفصلاً، وهذا الفعل من اثنين؛ لأن المرأة والصبي كل واحد منهما ينفصل من صاحبه، وإن كان قد يقال: فصله فصلاً وفصلاً.

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص ١٢٢)، الحجة للقراء السبعة (٣/١٤٤)، المفردات في غريب القرآن (ص ٧٠٧).

(٢) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (ص ١١٧٥).

وقيل: الفصال: لفظ يستعمل في الرضاع خاصة، وأما الفصل فهو أعم منه، لأنه يستعمل في الرضاع وغيره، وقيل: هما بمعنى واحد (١)

والمتدبر في توجيه القراءتين يتبين له أنهما متقاربتان في المعنى، ولكن فيهما هداية إلى العناية بالوليد وإرضاعه وأن مدة حمله وفطامه تستغرق ثلاثين شهراً.

وقد وضحت الآية: [٢٣٣] في سورة البقرة أن مدة الإرضاع حولين كاملين وذلك لقوله تعالى: ﴿...﴾ وفي القراءة توجيه على العناية بالطفل بعد ولادته وتنبية له بعد تكليفه بمدى ما بذلته الأم تجاهه وهو جنين ورضيع، فعليه أن يقابل ذلك البر والإحسان بشكر الوالدين بعد شكر الله تعالى، وقد أشار سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿...﴾ [لقمان: ١٤].

### المطلب الثالث

#### الهدايا المستتبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين غير المسلمين

#### تمهيد:

قد أوجب الإسلام على أتباعه بر الأبوين، والإحسان إليهما ولو كانا مشركين، وحق البر مع غير المسلمين يتمثل في الدعاء لهم بالخير والرشد والهدى، ودعوتهم إلى ما فيه سعادتهم وكرامتهم في الدنيا والآخرة، وقد تجلّى هذا الخلق الكريم والوصف الجليل في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء ذكره في الكتاب المبين: ﴿...﴾ [الكهف: ٦].

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١١٣/٢٢)، إعراب القرآن (١٠٩/٤).

(٢) ينظر: الدرر الناضرة في توجيه القراءات المتواترة (ص ٣٦٥).

## الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

وجاء في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي))<sup>(١)</sup>.

فحرص النبي صلى الله عليه وسلم على بر والدته بعد موتها دليل قاطع على استحسان البر بالوالدين حتى حال كفرهما.

الآيات الواردة في بر الوالدين غير المسلمين:

الآية الأولى: قوله تعالى: **ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ تَقُدُّونَ بِهَا** [سورة العنكبوت: ٨].

الآية الثانية: قوله: **ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ تَقُدُّونَ بِهَا** [سورة لقمان: ١٥].

### التفسير والمعنى الإجمالي للآية الكريمة:

قوله: **ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ تَقُدُّونَ بِهَا** (٢) نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فقد آلت أمه أن لا تطعم ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، وقيل في عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر مع عمر وكانت أمه شديدة الحب له، وحلفت على مثل ذلك، فتحيل عليه أبو جهل وأخوه الحارث، فشدها وثاقاً حين خرج معهما من المدينة إلى أمه فصدأ ليرأها، وجلده كل منهما مائة جلدة، ورداه إلى أمه فقالت: لا يزال في عذاب حتى يكفر بمحمد، في حديث طويل ذكر في السير.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث (١٠٥/٩٧٦)، سنن النسائي، الجنائز، حديث: (٢٠٣٤)، سنن أبي داود، الجنائز، حديث: (٣٢٣٤)، سنن ابن ماجه، الجنائز، حديث: (١٥٧٢)، مسند أحمد بن حنبل (٩٦٨٨).

(٢) ينظر: جامع الترمذي، كتاب الأدب من باب قول الله تعالى: **ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ تَقُدُّونَ بِهَا**، (٨٧/٣)، حديث (٢٥٤٩).



## الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين

محتاجة- أفصلها؟ قال: نعم صلي أمك؟ فأمرها النبي - صلى الله عليه وسلم- أن تصلها، ففي هذا دليل على أن الإحسان للوالدين مؤكّد ولو كانا على غير الإسلام.

ثالثاً: بيان الهدايات التفسيرية المستفادة من آيات بر الوالدين غير المسلمين:

يقول الإمام الطبري: "وقوله: **چ چ د د ت د** يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجنا من المشقة حتى استحکم قواك"، وقوله: **چڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ** وإن جاهدك أيها الإنسان، والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، **چ گ گ گ** **گ چ د** يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه، فيما بينك وبين ربك ولا إثم<sup>(١)</sup>.

وقال الزجاج: "جاء في التفسير (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ، أي لَزِمَهَا لِحْمَلِهَا إِيَّاهُ أَنْ ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وموضع " أَنْ " نَصْبٌ بـ (وَصَيَّنَّا)، المعنى وصينا الإنسان أن اشكره لي ولوالديك، أي وَصَيَّنَاهُ بِشُكْرِنَا وَبِشُكْرِ الْوَالِدِيهِ<sup>(٢)</sup>.

وقال البغوي: "قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين"، (وصاحبهما في الدنيا معروفًا)، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، واتبع سبيل من أناب إلي، أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه<sup>(٣)</sup>.

### الخاتمة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٥/٢٠-١٣٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١٩٦/٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٥٨٨/٣).



فأحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث المتواضع، والذي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرضه وجمعه وهديت فيه للصواب، ولقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج التالية:

- ١- أنّ علم الهدايات من أنفع العلوم وأجلّها؛ كون الهدايات توضح مقصد آيات القرآن وهدفه؛ لذا كانت الحاجة إلى توضيح الهدايات القرآنية ودراسة أثر اختلاف القراءات فيها، لأنّ الهداية يكتمل فهمها بوجوه القراءات المتعددة.
- ٢- أن الباحث في الهدايات القرآنية يجب عليه أن يحيط بوجوه القراءات المختلفة وأن يمعن نظره في دلالة كل قراءة؛ لأن الهدايات لا تكتمل إلا بمعرفة أوجه القراءات.
- ٣- أن برّ الوالدين (المسلمين وغير المسلمين) من محاسن الدين الإسلامي، فالإسلام دين البرّ والرحمة والإحسان، فهو يأمر بالصلة وينهي عن القطيعة مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متألّفة متراحمة.

وأخيراً: الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع وله المنّة أولاً وآخراً قال تعالى

في محكم تنزيله: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [لقصص: ٧٠]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.